وداعاً يا أبا عمار .. وإلى اللقاء في رحاب الله

د. زهير الحلبي

منذ اللقاء الأول في خريف عام ١٩٧٨م .. وحتى ليلة الوداع الأخيرة ليلة الأربعاء ٦ صفر ١٤٢٦هـ الموافق ١٦ آذار/مارس ٢٠٠٥م لم تغب عن محياه – رحمه الله وأسكنه فسيح جناته – بسمة الرضا والأمل والأخوة والمحبة ، وخلال هذه الرحلة الطويلة من الحياة عرفت الأخ الحبيب أحمد علاوي – أبا عمار – عن قرب في كثير من مجالات الحياة ، وفي كثير من أحوالها وتقلباتها

كان لقاؤنا الأول في مطبعة " الرائد " المتواضعة ، وقد أمضى الليالي الطويلة والسنين المديدة مع ثلة من إخوانه في رعاية هذه النبتة الناشئة ، حتى نمت وترعرعت ؛ فكانت شجرة طيبة جذرها ثابت في الأرض وفرعها باسق في السماء تؤتي أكلها بإذن ربها في كل حين .. لقد كانت " الرائد " رفيق دربه ، تعهدها بالتدقيق والتنضيد والطباعة والإعداد والتوزيع ، حتى لا يكاد يفترق اسم " الرائد " عن اسم واحد من أسرتها العريقة الوفية .. أحمد علاوي ..

تكررت اللقاءات في رحاب مسجد بلال في آخن ، وقد كان " أبو عمار " واحداً من العاملين المخلصين فيه .. يرعاه ويسهر على شؤونه أكثر مما يسهر أحدنا على عمله وبيته . كان الخادم والخطيب والمتكلم باسمه والمدافع عن حقوقه .. وكان المسؤول عن الجوانب العمرانية والفنية والمالية .. حتى أن كل ركن وحجر ونافذة في هذا المسجد يدين له – رحمه الله – بالفضل ويشهد له

بالإتقان والاهتمام والرعاية .. ستحس بفقده وتحزن لفراقه ، وقد كـــان الراعـــي الحنون لها يتفقدها ويسأل عنها حتى في الأيام الأخيرة من حياته وهو يعاني مـــا يعاني من المرض العضال .. كان يسألني عن المسجد وشؤونه وشجونه ويوصـــيني خيراً به وبقبته ومأذنته .. رحمك الله يا أبا عمار

ومضت الأيام وجمعنا مجلس إدارة المركز الإسلامي في آخن – مسجد بلال – وقد أصبح أبو عمار مسؤولاً عن الشؤون الاجتماعية والأسرية .. كان خـــير مـــن يصلح لها فقد حباه الله تعالى من الصفات الحميدة والأخلاق الطيبة ما جعله قريباً من قلوب كل من عرفه من إخوانه وأخواته .. كباراً وصغاراً .. مقيمين وعابري سبيل .. أيتاماً ومساكين .. فقد كان – رحمه الله – يقوم بأداء رسالة عظيمة تهدف إلى جمع شمل الجالية المسلمة في هذا المغترب وتوثيق أواصر الصلة والمحبة فيما بينها ، ويعمـــل على اندماجها بشكل إيجابي بناء في المجتمع المحيط الذي تعيش فيه .

كان رحمه الله يقوم بكل هذه الواجبات الطوعية إلى جانب عملـــه ورعايتـــه لأسرته ليوفر لها الحياة الكريمة السعيدة . كان مثالاً يحتذى للزوج الوفي المحب وللأب الرؤوف والمعلم القدوة ، وقد أكرمه الله تعالى بزوجة مخلصة صابرة صالحة ، كانت له السند والعون في أداء رسالته التي بدأها ، وفي رعاية أشبالهم السبعة وتنشئتهم نشأة صالحة ستكون لهم – إن شاء الله – ذخراً وزاداً يتابعون درب الحيـــاة مـــن بعـــده ويكونون بإذن الله من السعداء الصالحين ﴿ **وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِـــمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا** ﴾ [النساء : ٩] .

وشاءت إرادة الله تعالى – ولا رادّ لأمره – أن يُمتحن أخونا الحبيب أبو عمـــار في نفسه ، زيادة في أجره ورفعاً لدرجاته عند ربه – ولا نزكي على الله أحداً – ..

وقد اجتاز الامتحان بالثبات والصبر والرضا والتسليم لقضاء الله وقدره .. وشهد الله أنني لم أسمع منه في هذه الفترة العصيبة التي امتدت شهوراً إلا كلمات الحمد والرضا والثناء على ربه ، حتى في أشد الأوقات وأقسى المعاناة .. وقد كان زوجـــه وأولاده وإخوانه إلى جانبه عوناً له ومواساة يبذلون ما في وسعهم للتخفيف عنه ، ويرجون له من الله السلامة والشفاء ، حتى جاء أمر الله وفاضت روحه إلى بارئها راضية مرضية فجر يوم الأربعاء ٦ صفر ١٤٢٦هـــ الموافق ١٦ آذار/مارس ٢٠٠٥م .

رحمك الله يا أبا عمار وأسكنك فسيح جناته .. لقد كنت فيما حباك الله مـــن صفات وأخلاق وسجايا .. وهمة وعمل ودأب ودقة وإتقان .. لقد كنت أمـــة في رجل ، كنت المجاهد الصامت ، والأخ الصدوق ، والزوج الوفي ، والأب الـــرؤوف القدوة . لقد ترجلت ورحلت – وهذا أمر الله وقضاؤه – وأهلـــك وإخوانـــك في أحلك الظروف وأمسّ الحاجة إلى أمثالك .. « **تَدْمَعُ الْعَيْنُ ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِي رَبَّنَا عَزَّ وَجَلَّ ، وَاللَّهِ إِنَّا بِكَ – يَا أَبَا عَمارُ – لَمَحْزُونُونَ** »

ستبقى ذكراك ومآثرك ماثلة في قلوبنا وعيوننا كلما أبصرت صـــفحات " الـــرائـــد " ، أو أحجار مسجد بلال أو براعمك عمار وعمر وعبد الله وعماد وسارة وعلي وسامية ، ضارعين إلى الله عزَّ وجلَّ أن يتغمدك برحمتـــه ، ويوســـع مدخلك ، ويكرم منـــزلتك ، وأن يلهم زوجك وأهلك وإخوانك الصبر والسلوان ، وأن يعوضهم خيراً ، وأن يجعلهم خير خلف لك .

إلى اللقاء يا أبا عمار في رحاب الله .. في جنات الخلد مع الأحباب من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً و ﴿ ... **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّـــا إِلَيْـــهِ رَاجِعُونَ** ﴾ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أخوك أبو أنس